



عندما يقول البعض إن إسرائيل ليست بعيدة عما يحصل في سوريا، وهناك شكوك قوية حول تزويد إسرائيل للنظام السوري بصواريخ توجه عن بعد لاصطياد ناشطين سوريين في مخابئهم في حمص وفي غيرها، كما كانت تفعل إسرائيل بناشطين فلسطينيين في غزة.

لكن هناك من يفنّد هذا القول ويرى أصحابه من مسوقي نظرية المؤامرة. لستقرئ تاريخ حافظ أسد وابنه بشار أسد لنظر إن كانت هذه المقوله مؤامرة أم أنها الحقيقة بعينها؟

فخلال أربعة عقود من حكم حافظ أسد وابنه بشار بعد توقيع اتفاقية فك الارتباط عام 1974 م، كانت الحدود بين سوريا وإسرائيل هادئة تماماً. حتى في العمق السوري، كانت الطائرات الإسرائيلية تخترق حاجز الصوت فوق سوريا وتمر من فوق قصر الرئيس في اللاذقية، ويكون الجواب في كل مرة بأن يعلن الناطق السوري أن سوريا سوف ترد في الوقت المناسب، لكن هذا الوقت المناسب لم يأتي حتى الآن، بل إن طائرات إسرائيلية قصفت موقع "الكבר" في شمال دير الزور على الحدود التركية عام 2007 م، فهدى نظام بشار أسد وتوعده، لكنه لم يفعل شيئاً ولم يحرك ساكناً.

وخلالاً لما كان يزعمه إعلام حافظ أسد، ومن بعده إعلام بشار أسد، لم يكن الشعب السوري يصدق رواية هذا الإعلام عن مقاومة حافظ أسد ومانعه بشار أسد من بعده، حيث لم تطلق رصاصة واحدة عبر الحدود مع إسرائيل خلال 40 عاماً. ومع أن حدود إسرائيل مع كل من مصر والأردن كانت لا تخلو من مناورات رغم اتفاقيتي السلام بين إسرائيل وكل من مصر والأردن، فقد كان الهدوء يعم منطقة الحدود بين إسرائيل وسوريا على مدى أربعين عاماً من حكم الأب والابن، مع أنه لم تكن هناك اتفاقية سلام بين سوريا وإسرائيل.

اليوم بعد أكثر من سنة على بدء الثورة السورية لم يعد سراً، والعالم كله يعرف، بأن إسرائيل لا تريد رحيل بشار أسد ونظامه، وهذا ما أثر في سياسة الرئيس الأمريكي "باراك أوباما" الذي يخضع لابتزاز يهود أمريكا في سنة انتخابية للتجديد له مرة ثانية. لن نلجاً إلى التخمين ولا إلى كلام الصحف الإسرائيلية، بل سنعتمد على ما هو ملموس أمامنا.

فعلى الصعيد السوري، معروف أن اتفاقية فك الارتباط عام 1974 م برعاية "هنري كيسنجر" بين سوريا وإسرائيل، نصت على التزام الجيش السوري بشرط عرضه 20 كيلومتراً داخل الحدود السورية المحاذية لإسرائيل، وينعى فيه منعاً باتاً تحرك دبابات سوريا على جنائزيرها. وإذا كان ولا بدّ، فعلى حاملات الدبابات.

ما حصل خلال قمع المتظاهرين أن الدبابات السورية كانت تهاجم "درعا" وبلات محيطة بها وكلها تقع ضمن الشريط المحظور فيه تحرك الدبابات السورية، بل إن "الحارة" التي لا تبعد إلا كيلومتر واحد عن الحدود، لم تحرك إسرائيل ساكناً وهي ترى دبابات ماهر أسد تحرك على جنائزها وتصصف، ولم ترسل ولو برقية احتجاج واحدة إلى لجنة الهدنة التي ترابط داخل الحدود السورية.

وهذا ما شاهده العالم كله، ويشهد على رضا إسرائيل بما يفعله النظام ضد المتظاهرين السوريين قريباً من حدودها. فما هو موقف قادة إسرائيل من كل ما يحصل على الساحة السورية من قتل وتنكيل للمتظاهرين؟

نقبس للقارئ الكريم بعض ما جاء في محضر اجتماع لباحثين إسرائيليين مع نظراً لهم من الأوروبيين في لقاء شبه رسمي انعقد في أوروبا لبحث المسألة السورية الراهنة:

قال المندوب الإسرائيلي: "إن القيادة الإسرائيلية تعمل على حسابات أن عدو عدو قد يكون عدو كذلك. ولا تؤمن بقدسية القول الشائع إن عدو عدو صديقي". يشرح المندوب فهُم القيادة الإسرائيلية هذا بالقول: "إن أمن وسلامة إسرائيل هو المعيار الوحيد الذي يؤسس عليه القرار الإسرائيلي، وفي حسابات الخسارة والربح يُعد سقوط النظام السوري القائم تطوراً سلبياً خطراً على أمن إسرائيل ولا تجد أي منفعة أو مصلحة في إسقاط النظام السوري القائم".

يستطرد المندوب الإسرائيلي: "وقد بُرِز سؤالان تقليديان أمام صناع القرار، الأول: هل توجد مصلحة إسرائيلية في دعم عملية إسقاط النظام؟ والثاني: ما البديل المحتمل، وما مواقفه وسياسات المحتل تجاه أمن ومصالح إسرائيل؟".

حول الجواب عن السؤال الأول: أكد المندوب الإسرائيلي: أن إجابة المخابرات الإسرائيلية عن السؤال الأول كانت محددة وغير قابلة للجدل، إذ تم التأكيد على أن إسرائيل لا تجد أي منفعة أو مصلحة بإسقاط النظام السوري القائم".

فالنظام السوري: "تمكن من إدراك وقبول قواعد اللعبة مع إسرائيل، ويتفهم ويحترم الخطوط الحمر لصناعة القرار الإسرائيلي. خلال 40 عاماً الماضية، بُرِز عامل الثقة غير المعلنة بين الطرفين. وعلى رغم أن النظام السوري سعى لفتح جبهات خارجية ضد إسرائيل، فلم يفك بفتح الجبهة السورية، برغم احتلال إسرائيل المستمر للأراضي السورية، وعلى رغم قيام الطائرات الإسرائيلية بمهاجمة أهداف ضمن الأراضي السورية بين فترة وأخرى، كان آخرها عام 2007م، حين هاجمت الطائرات الإسرائيلية موقع الكبر - باعتباره موقعًا نووياً مفترضاً في عمق الأراضي السورية".

وحول الجواب عن السؤال الثاني أكد المندوب الإسرائيلي أن: "النظام البديل لنظام الأسد سيكون ذا صبغة إسلامية أو وطنية أو قومية تضعه تلقائياً في خانة معاداة إسرائيل. وأن الافتراض بأن النظام البديل في سوريا سيكون معادياً لإيران أو لحزب الله لا يعني شيئاً كثيراً بالنسبة لأمن الدولة الإسرائيلية، لأن هذا النظام البديل سيكون، في الوقت نفسه، معادياً لإسرائيل. لذا، فإن القيادة الإسرائيلية في قرارها بتبني موقف معارض لتوفير الدعم للثورة السورية استندت إلى قاعدة: عدو - عدو = عدو".

ويخلص المندوب الإسرائيلي إلى نتيجة هامة اعتمدتها إسرائيل:

"وكلنتيجة لتبني هذا الموقف قررت الحكومة الإسرائيلية وضع (فيتو) واضح وقاطع على أي جهود خارجية، إقليمية أو دولية، لتوفير الدعم للثورة السورية وتم إعلام الأطراف الدولية بنية إسرائيل بالعمل على إعاقة أي مشاريع لتوفير الحماية الدولية للثورة السورية، أو تقديم أي إسناد سياسي أو عسكري قد يساعد الثورة في تحقيق الانتصار". (الاقتباس هو من مقال الباحث العراقي مصطفى العاني، وقد كان شاهداً على تلك المباحثات).

هذا اعتراف صريح من إسرائيلي من مركز بحث معتمد. ورأى المراكز البحثية في إسرائيل مثلها مثل المراكز البحثية في أمريكا وأوروبا لا ترمي في سلة المهملات كما يفعل في كثير من الدول العربية، بل إنها يؤخذ بها وتدخل في صلب السياسة الإسرائيلية.

ويبقى السؤال: إذا كانت هذه قناعات الإسرائيلية، فهل تبقى هذه القناعات ضمن التمنيات وما تحبه إسرائيل، أم أن ذلك يتعداه إلى مدى المساعدة للنظام في قمعه الشعب السوري؟ نحن نعتقد أن إسرائيل ضالعة حتى العظم في مساعدة النظام السوري.

المصدر: موقع التأصيل

المصادر: